

الوافي في الوفيات

لك صورةٌ ذَلَّـ الجمالُ لحسنها ... تقضي برَجَـور في النفوس وتحكمُ .
ومن العجائب أنَّـ طرفك مُشْـعِرُ ... سُـقْـمًا وأنتَ بسُقْمه لا تعلمُ .
ومنه :

ولما وقفنا للوداع ودوننا ... عيونُ ترامى بالظنون ضميرُها .
أماطتُ عن الشمس المنيرة بِـرُقْـعُـعًا ... فغيَّبنا عن أعين الناس نورُها .
قلتُ : شعرٌ جيدٌ طبقةً .
القاضي الأكرم ابن القفطي الوزير جمال الدين .

علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى ينتهي إلى بكر بن وائل وزير حال القاضي الأكرم الوزير جمال الدين أبو الحسن القفطي أحد الكتّـاب المشهورين المبرزين . وكان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً وأُمُّـه امرأة بادية من العرب من قُـضـاعة وأمَّـها جارية حبشيَّة . ولد بقفط من الصعيد الأعلى بالديار المصريَّة وأقام بحلب وكان يقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأُـصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل . ولد سنة ثمان وستين وخمس مائة وتوفَّـي سنة ست وأربعين وست مائة . وكان صدراً محتشماً كامل السؤدد جمع من الكتب ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق وكان لا يحبُّ من الدنيا سواها ولم يكن له دارٌ ولا زوجة ؛ وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين ألف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب . وهو أخو المؤيِّـد القفطي . ووفاته في شهر رمضان . وقال ياقوت : أنشدني لنفسه بحلب في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وست مائة :

ضدَّـانِ عِنْدِي قَمَـرًا هَمَّـتِي ... وَجَهٌ حَـيَّـيْ وَلِسَانٌ وَقَاحٌ .
إِنْ رُمِّـتُ أَمْرًا خَانِي ذُو الْحَيَا ... وَمَقْـوْلِي يُطْـمَـعْنِي فِي النِّجَاحِ .
فَأُنْثِنِي فِي حَـيْـرَةٍ مِنْهُمَا ... لِي مَخْـلَبٌ مَاضٍ وَمَا مِنْ جَنَاحٍ .
شَبَّـهُ جَبَانٍ فَرَّـسٍ مِنْ مَعْرَكٍ ... خَوْفًا وَفِي يَمْنَاهِ عَصَبُ الْكِفَاحِ .
قال : وأنشدني له أيضاً :

شَيْخٌ لَنَا يُعْـزِي إِلَى مُنْـذَرٍ ... مُسْتَقْبَحٌ الْأَخْلَاقِ وَالْعَيْنِ .
مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ فَحْدَثَ بِهِ ... بِفَرْدٍ عَيْنٍ وَلِسَانِينَ .
قال : وأنشدني :
إِذَا وَجَّـفَتْ مِنْكَ الْخِيُولُ لَغَارَةً ... فَلَا مَـنَعَ إِلَّا الَّذِي مَنَعَ الْعَهْدُ .

نزلتَ بأَ نطاكِـَّةٍ غَيرَ حافلٍ ... بقلـَّـةٍ جُنْدٍ إِذْ جَمِيعُ الوَرَى جُنْدٌ .
فكم أَهيفٍ جادته هيفُ رماحِكُم ... وكم ناهدٍ أودى بها فرسُ نَهْدٌ .
لئن دَلَّـَّ فيها ثعلبُ الغدرِ لاوُنٌ ... فَسُحْقاً له قد جاءه الأسَدُ الوردُ .
وكان قد اغترَّـَّ اللعينُ بليَنكم ... وأعظمُ نارٍ حيث لا لَهَبٌ يبدو .
جَنى النحلَ مغترَّـَّا وفي النحلِ آيةٌ ... فطورا له سُمٌّ وطورا له شَهدٌ .
تَمُدُّـَّكْ أَجنادُ الملوكِ تَقَرُّـَّ باً ... وجندُ السَّـَّخينِ العينِ جَزَرٌ ولا مَدُّـَّ .
تَهَنَّـَّ بها بِـَّكرا خطبتَ مـَّلاكها ... فأعطت يدَ المخطوبِ وانتظم العِـَّقدُ .
فجيشك مَهَرُّـَّ والبـُّنودُ حُمولُهُ ... وأسهمُكم نَثَرُـَّ وسُمُرُ القنا نَقْدُـَّ .

وله من التصانيف : كتاب الصاد والطاء وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في الخط كتاب الدر الثمين في أخبار المتيِّمين كتاب من ألوت الأيام عليه فرفعته ثمَّـَّ ألوت عليه فوضعت كتاب أخبار المصنفين وما صدَّـَّ فوه كتاب أخبار النحويين كبير كتاب تاريخ مصر من ابتدائها إلى أيام صلاح الدين ست مجلدات كتاب تاريخ المغرب كتاب تاريخ اليمن كتاب المحلِّـَّـى في استيعاب وجوه كلاَّـَّ كتاب إصلاح خلل الصحاح للجوهري كتاب الكلام على الموطَّـَّـأ ولم يتمَّ كتاب الكلام على صحيح البخاري لم يتمَّ كتاب تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه كتاب تاريخ السلجوقية كتاب الإيناس في أخبار آل مرداس كتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم كتاب مشيخة الكندي زيد بن الحسن كتاب نُـَّهزة خاطر ونزهة الناظر في أحاسن ما نقل من ظهور الكتب .

قال ابن سعيد المغربي : نظم الوزير المذكور بيتين في جاريةٍ اشتراها وهما :
تَبَدَّدَـَّتْ فهذا البدرُ من كَلَّـَّـفٍ بها ... وحقَّـَّـكْ مثلي في دجى الليل حائرُـَّ